المحاضرة الرابعة : النظام الإداري في الجزائر إ بان العهد العثماني ١٥١٨م-١٨٣٠م

١ – التقسيمات الإدارية:

قسمت الجزائر في العهد العثماني إلى أربع مقاطعات رئيسية هي:

أ- **دار السلطان:** تشمل مدين الجزائر والمناطق المحيطة بها و تمتد من دلس شرقا إلى تنس وشرشال غربا ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا وهي على شكل مثلث يحدها من الشرق والجنوب الشرقي بايلك التيطري أما من الجنوب الغربي والشرق يحدها بايلك الغرب. وتخضع الى رئيس السلطة التركية بواسطة آغا العرب أو قائد الجيش، وهي مقسم إلى أوطان ، وظلت في الوقت نفسه مقرّ الحاكم الأعلى والديوان في كافة المراحل.

ب- **بايليك (ولاية) الشرق:** وهي أكبر المقاطعات أو البيلكات الجزائرية مساحة وسكانا وعاصمتها الإدارية قسنطينة، وتمتد الى بلاد القبائل غربا والى الصحراء (ورقلة) جنوبا وايالة تونس شرقا. أنشئ عام١٥٦٧م في عهد البيلرباي حسن باشا،وحكم الاتراك المناطق الجبلية والصحراوية عن طريق رؤساء محليين بينما المناطق الفلاحية السهلية فتتبع البايلك مباشرة أو عن طريق قبائل المخزن .

ج- **بايليك التيطري:** يعد اصغر البايليكات وافقرها ومركزها مدينة المدية،اسس سنة ١٥٤٠م وأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية بحكم قربها منها . يحكمه باي ، إلا انه اقل سلطة وصلاحياته محدودة جدا ،اذا هناك من يتقاسم معه السلطة وهو حاكم مدينة المدية الذي يتبع مباشرة الداي والديوان و هذا راجع الى خوف الداي من أي حركة التمرد تندلع من هذا البايلك.

د-**بايليك الغرب:** أنشئ في سنة ١٥٦٣م وكانت عاصمته الإدارية في البداية مدينة "مازونة" ومن ثم تحولت إلى "معسكر" واستقرت أخيرا في وهران بعد طرد الإسبان منها نهائيا عام **١٧٩٢م.** وعرف بكثرة حروبه سواء مع الاسبان أو مع سلاطين المغرب

٢ – الأجهزة والتنظيمات الإدارية العثمانية في الجزائر:

اتخذ الجهاز الإداري منذ عصر الدايات صفة الثبات فتحدّدت هيأته على الشكل التالي:

- **الحكومة المركزية وعلى رأسها الداي:** نجد السلطة المُراقِبة تعرف بالديوان "البرلمان حاليا" يتشكل من مجموعة من الضباط مهمته: يراقب، يوافق، يعارض،...تصرفات الدايات والحكومة المركزية، ولكن شيئا فشيئا تمكن الدايات من جعل أعضاء الديوان ألعوبة في يدي الداي.

أ- **الداي:** وهو رئيس السلطة التنفيذية "الحاكم الأعلى" والقائد العام للجيش، يوقع المعاهدات، ويستقبل السفراء ويوجه السياسة الخارجية، وكانت الجزائر المقرّ الرئيسي له. قليل من الدايات من كان في المستوى وكثير منهم من كان دون ذلك حيث نلاحظ أن بعضا منهم انتقل من مرتبة حقيرة إلى منصب "الداي" واحدهم كان غسالاً للموتى فانتخب دايا وبعضهم الآخر كان طباخا للداي أو عسكريا بسيطا فأصبح دايا، أغلبهم كانوا متعطشين لدماء وأموال الناس، وهناك من المؤرخين من يؤيد ذلك.

ب- **المجلس الاستشاري (الديوان الخاص):** وهو شبيه بمجلس الوزراء في العصر الحالي حيث يرجع الداي إليه قبل البث في قراراته ويتكون هذا المجلس من:

- **الخزنجي:** وهو بمثاب الوزير الأول والمشرف على الخزانة المالية وهو الوحيد الذي يدخلها ، كما يشرف على المواريث والعقود. وهو المشرف على أموال الدولة ومراقبتها "المداخيل – النفقات"، ولكن لا يسمح له بالاحتفاظ بمفاتيح الخزنة بل يعيدها في المساء إلى الداي . يحتل المكانة والرفعة والنفوذ الكبير ، ويعد الشخصية الثانية المرشحة لتولي منصب الداي في حال شغوره .
- **الآغـــا:** وهو القائد الأعلى للفرق البرّية من مشاة وخيالة. ويعتبر الوزير الثاني في الدولة، ونظرا لنفوذه وقوته فهو يدعى ملك الأرياف، يتصرف في القبائل والرعية والمدن بحرية مطلقة.
- **خوجة الخيل:**من مهامه إدارة أملاك الدولة في دار السلطان وبالبيلكات والإشراف على مواشي الدولة وبيعها من بغال وجمال وأغنام وأبقار وخيول التي اشتق منها اسمه، وأيضا المحاصيل الزراعية وكراء أراضي البايلك ،ويساعده قائد يسمى بـ قائد العرب.

- **البيت مالجي:** أهميته أقل من الخزنجي وهو المشرف على بيت المال، ومن مهامه القيام بتأميم أموال البايات المعزولين، ومراقبة أموال الرجل الذي مات ولم يخلف أولادا، أي (يرث من لا وريث له). وهو الآمر بدفن الموتى .
- **وكيل الحرَج:** وهو وزير البحرية له كلمته في الحكومة وهو المستشار الخاص للداي. ومكلف بالعلاقات الخارجية . وكل رياس البحر وقادة السفن وموظفي الميناء يتبعونه.
- **الباش كاتب:** بمثابة وزير الداخلية

الجهاز الإداري المحلي:

- **الباي:** على رأس الجهاز الإداري المحلي الباي ويختار عادة من الأتراك العثمانيين يختاره الداي وفي بعض الأحيان يختار من فئة الكراغلة. والباي له صلاحيات مطلقة في إدارة البايليك يساعده في ذلك جماعة من الموظفين المحليين، وهؤلاء يكوّنون "ديوان الباي"، ومن بين الأشخاص المساعدين له نذكر:
- **الخليفة** : (خليفتين) الأول منهما على اتصال دائم بالأهالي وإدارة الأوطان والدوائر المحلية ، وله الحق في جباية الضرائب واستتباب الأمن . أما الثاني فهو ينوب عن الباي في حالة غيابه أو مرضه وعرف هذا الخليفة باسم خليفة الكرسي. ويتولى حمل الدنوش(حصيلة الضرائب) مرتين في العام في الربيع والخريف إلى دار السلطان، وغالب ما يشغل هذا المنصب احد اقارب الباي.
- **الآغا:** وهو من مساعدي الباي، ويختار غالبا من العنصر المحلي أي عكس البايات. وكان الآغا يقوم بدور الوساطة بين الباي والأهالي وقد حظي أصحاب هذا المنصب بعدة امتيازات مادية مما جعل منصب الآغا في أغلب الأحيان محلّ منافسة شديدة.
- **القائد:** غالبا ما يختار من طرف الآغا ويتم تعيينه من طرف الباي وهو همزة وصل بين القبيلة التي ينصب عليها وبين الموظفين الكبار بالبايليك. ونظرا لأهمية منصب القائد فإن اختياره يتم عادة من بين الأتراك وأحيانا أخرى من بين الكراغلة. ويعود هذا الاحتكار إلى محاولة الأتراك تفادي الصراعات القبلية بشأن هذا المنصب. وتمتد سلطة القايد على مجموعة من القبائل وهذه الأخيرة تشكل ما عرف بالُوْطَنْ "Outhan".

وفي بعض الأحيان يختار القائد من القبيلة نفسها مثل بعض القبائل الهامة والبارزة وكانت هذه السياسة إحدى الوسائل الناجعة لضمان تبعية أفراد القبيلة إذ أن القبيلة لا تشعر بضغط أجنبي عليها مادام شيخ القبيلة نفسه هو القائد. أما الجهات التي لم تصلها السلطة المركزية والتي حافظت على استقلالها فقد كان لشيوخها حق التصرف المطلق في شؤونها وليس عليهم إزاء الحكم تقديم ضريبة كلّما اقتضت الضرورة.

- **شيخ القبيلة:** هو الشخصية الثانية بعد القائد يتم تعيينه من طرف القائد بعد استشارة رؤوساء الدواوير. وحرصا على الأمن وضمانا لطاعة أفراد هذه القبيلة فإن شيخ القبيلة يختار من القبيلة ذاتها، وغالبا ما يكون من بين العائلات الكبيرة. وتكمن أهميته في أنه كان يمثل الوساطة بين أفراد القبيلة الخاضعين لنظام الحاكم وبين السلطة، ولهذا كان يتحتم عليه لأداء مهامه أن يكون محلّ ثقة من الطرفين "الحكومة والقبيلة" ومن مهامه: جباية الضرائب وفرض الأمن، وإعداد الفرق العسكرية كلّما اقتضى الأمر ذلك.اضافة الى **قايد الدوار** الذي تكون صلاحياته محدودة لا تتجاوز الدوار المشرف عليه.
- **قائد الدار** : مكلف بإدارة الشرطة ،وهو قاضي الجنح والجرائم ،كما يشرف على إدارة الأملاك العقارية في إقليم البايلك وتخزين حبوب العشور.
- **الباش كاتب:** وهو الكاتب العام لدى الباي ، مكلف بتحرير الرسائل السياسية للباي .
- **الباش مكاحلي:** وهو القائد الحرس الشخصي للباي.
- **الباش سراج:** المكلف بشؤون الخيل والسهر على سلامتها.
- **الباش علام** : قائد حاملي راية الباي.

وقد اعتمد على هذه التنظيمات الإدارية من أجل استمرارية الحكم العثماني واستمرارية تدفق الاتاوات والضرائب المحلية على خزينة الدولة. وكما شكل العثمانيون تحالفات مع القبائل الجزائرية واصطنعوا أخرى ، مثل:

١-**قبائل الرعية:** هي القبائل الخاضعة للسلطة الفعلية المباشرة للأتراك وهي التي يسلط عليها مختلف أنواع الضرائب، ومعرضة لصنوف الاستغلال والإكراه والقسوة من طرف رجال البايلك وفرسان المخزن.

٢-**قبائل المخزن:** وهي القبائل المحظوظة والمتحالفة مع السلطة، تمتعت هذه القبائل بامتيازات عديدة مقابل التزامات وخدمات تؤديها للنظام الحاكم. والوظائف الأساسية لهذه القبائل كانت تتمثل في ضمان الأمن في البلاد وضمان طاعة السكان وهذا من بقاء تمركزها إذ غالبا ما كانت تتواجد قرب الأسواق الجهوية وفي الطرق الرئيسية والثانوية أيضا.

توزعت هذه القبائل في كامل أنحاء البلاد بطريقة محكمة استهدفت السيطرة الكلية على البلاد ومما لاشك فيه أن قبائل المخزن قد لعبت دور الشرطة بكل يقظة، وأنها كانت أنجع الأساليب في تدعيم الحاكم التركي العثماني بالمنطقة، ولهذا اعتبر العديد من مؤرخي هذه الفترة أن قوة الوجود العثماني بالجزائر كانت في هذه المؤسسة "المخزن" وأن اعتماد العثمانيين على هذه المؤسسة يعود إلى انعدام الدعم المادي من الباب العالي أي قلة الدعم العسكري خاصة في العهود الأخيرة كما تشير إلى ذلك الكثير من المصادر التاريخية.

أن عدد الأتراك بالجزائر لم يتجاوز ٣٠ ألف في القرن ١٧م وهذا لا يسمح للحكام السيطرة على كامل أنحاء البلاد دون اللّجوء إلى هذه الطريقة. وما يمكن ملاحظته أن الحكم العثماني كان نظاما أو حكما غير مباشر وذلك لكي يأمنوا شرّ تلك القبائل.

آثـار الحكم العثماني بالجزائر:

- بناءر كيان سياسي جزائري موحد في العصر الحديث له عاصمة قارة وهي مدينة الجزائر ،وحدود ثابتة ومكانة ومهيبة دولية .
- صدّ الخطر الإسباني وتحرير المدن التي استطاع الإسبان استعمارها.
- تولد عن التوافد البشري على الجزائر انصهار بين سكان البلاد الأصليين والوافدين الأتراك والأندلسيين أدى على مرّ الأزمنة إلى إحداث تأثيرات متبادلة من حيث العادات والتقاليد الوطنية، وتفاعل حضاري.